السنن الثقافية من خلال
نماذج حكائية

محمد الماكري

كلية الآداب والعلوم الانسانية
أكادير

1 ــ الحكي الشعبي كمظهر من مظاهر المحلية :

لنتفق أولا على أن الحكاية بالنسبة لنا اليوم هي الشكل الأكثر قدما والأكثر بساطة للسرد الأدبي. باعتباره الشكل المنقول إلينا قبل أن نتعلم القراءة، وهي إلى هذا في الغالب نتاج أشكال القص الطفولية التي تبادل الناس حكاياتها لبعضهم البعض بشكل أو بآخر منذ آلاف السنين، والكتابة لم تحفظ لنا إلا التمظهرات المتأخرة لتقليد ثقافي أقدم من اللغة المكتوبة ذاتها، لهذا لا يمكن أبدا لارث الحضارة الكتابية أن يحملنا على الاعتقاد بأن المسافة الزمنية التي تفصلنا عن المجتمعات التقليدية التي لا تكتب كبيرة للغاية.

ــ إن مسألة الأصول التاريخية لنموذج حكائي معين استنفدت جهد الباحثين ومع ذلك فالحل في عدم جاهزية أي جواب حول هذه المسألة : ففي الوقت الذي تحتفظ فيه الحكايات القديمة ببعض التفاصيل المتصلة بالتقاليد والطباع والمعتقدات والسنن الاجتماعية المخالفة للمألوف في مجالنا لانقوى على فهمها وعلى منح دلالات لبنائها العلامي.

أما عن الأصول الجغرافية للحكاية فهي بدورها كانت محط دراسات عديدة اصطدمت بنقص توثيقي وبصعوبة تأويل السياقات الثقافية للنسخ أو النماذج المقارنة، وهذا يخص كثيرا من النماذج الحكائية المنتشرة في بقاع متباعدة من العالم، من جهة وفي المجال الجغرافي الواحد من جهة ثانية.

والنماذج الحكائية المقترحة هنا تنتمي لنفس المجال الجغرافي اعتمادا على معطيات

الالتقاط الشفوي، ظاهريا، ولنفس الفضاء الحكائي، أي الفضاء التقليدي الشعبي. بناء على طبيعة الشخوص الموظفة والتي بمقتضاها يمكن التمييز بين فضاءات حكائية ثلاث. تقليدي / كلاسيكي / حديث.

1 ــ الأول ينعت بمنطقيته فيما هو يمنح شخوصه أدوارا محدودة بجملة من الوظائف Fonctions (بطل، مخادع...)

2 ــ والثاني ينعت بواقعيته فيما تتحرك شخوصه كأفراد العالم الواقعي تماما.

3 ــ والثالث ينعت بتخيليته حيث لا تتعدى الشخوص مجرد نماذج عرض متخيلة، وإسقاطات خيالية، ونتاجات كتابة produits d'écriture

وبالنظر لطبيعة النماذج المقترحة هنا وانطلاقا مما يرصد في نزوعها الاحيائي كوجه من وجوه العجيب فيها، نرى أن الحكاية العجيبة، لا تمثل إلا مظهرا واحدا من مظاهر الحكاية الشعبية، الموجهة في المجالات الريفية أصلا في صورة حكايات الجن والسحرة والحيوانات كأدب للأطفال.٠والحكاية الشعبية في محليتها كشكل تعبيري وكعمل فولكلوري «تشترك في الدونية التاريخية للبنية الاجتماعية التي تلدها، تستمد منها حقيقة قيمتها...» ونحن اليوم إذ نستعيد الحكاية كمظهر تعبيري وكسمة لثقافة محلية. نفعل ذلك منفصلين عن الماضي الثقافي الذي هو ماضينا لنتأمل من الخارج شكلنا السابق ونرصد عملية الانسلاخ والتحول. ومن هنا فإن الحكي المستعاد في سمته الفولكلورية تلك لا يمثل القديم والأصيل بل هو جزء من الراهن الثقافي الجديد بعد أن فسحت له الثقافة المستوردة فرصة التواجد مجددا بعد أن كان مجرد مستودع أثري لمجتمع فاتر الحياة»[1].

اننا ونحن نتأمل النماذج الحكائية اليوم في قدمها واستمرارها، لانملك شرعية اعتمادها متضمنة لمحتوى شعبي لأن الجماعة الشعبية التي تداولتها وتتداولها، لا تقدم من خلالها مشهدا عن نفسها لنفسها، ومن هنا فلا مبرر لاعتمادها موضوع معرفة تخص الثقافي في محليته، لهذا فليسمح لي أولا بتقديم بعض التحفظات أمام المسلك الشائك الذي أجدني فيه وأنا اليوم أحاول تناول نصوص في الأدب الشفوي «الشعبي» الذي يمكن أن توضع نسبته ومحليته الثقافية موضع تساؤل للاعتبارات التي سلف تقديمها.

(1) بخصوص هذه النقطة ينظر : ع. العروي = العرب والتعبير عن الذات التعبير والفولكلور. الايديولوجيا العربية المعاصرة.

1 ــ مدخل : إشكالية المشروع التحليلي

أ ــ النماذج المقترحة مأخوذة من مجموعة اميل لاووست Contes : E. Laoust Berbères du Maroc[2] اننا إذن أمام نصوص يتم ابعاد شروط إنتاجها (حركية، إشارية، نغمية، نبرات صوت) وشروط تلقيها (انفعالات وردود فعل المتلقين، الضحك، الانتباه، التعليقات، الحركات)، لهذا فلا مجال لمقارنة وضعيتنا هنا بحالة الباحث، وهو ينتقي ويلتقط النماذج على الطبيعة، ولا بالشروط الأصلية للانتاج حيث تندمج النصوص في نظام تبادل وانتشار في المكان.

إضافة إلى أن غياب النماذج الأصلية (الغير الموجودة أصلا)، والمعلومات التي تخص صيغ التبليغ والنقل. يختزل كفاية تحليل شامل، فالنصوص المقترحة، رغم كونها ملتقطة ميدانيا، هي نصوص أعيد إنتاجها كتابة، وككل إعادة كتابة فهذا يفترض اشتغالا على اللغة، أي قلبا أسلوبيا، وتحولا على مستوى العلاقة بين ماهو تعبير وما هو محتوى[3].

إننا مجبرون على اعتماد النسخة المكتوبة كأصل، لاعتبار زمني تقتضيه استلزامات منهجية، خصوصا وأن تمحيص النماذج ميدانيا في المجال الحضري لأكادير وضعنا أمام صيغ مختلفة، تذهب إلى حد التباين، وهو اختلاف تفسره الاعتبارات التي سقناها في القسم الأول، والتي تجعل الحديث عن أكادير الكبرى كهوية ثقافية متجانسة لا يبرره واقع التعددية الاثنية المشكلة للتركيبية الحكائية لهذا المجال.

ب ــ المسألة الثانية تتعلق بتصنيف النماذج، ففي أي صنف يمكن أن تندرج وفي أي نمط خطابي يمكن اعتبارها : هل هي خطاب اجتماعي (قبيلة)، رمزي، شعري، تربوي...)

تبدو القضية من باب الانشغالات الزائدة، على أهميتها في الاطار الذي يؤطر عملنا إضافة إلى أن مسألة التصنيف في إطار الأنواع، هي انشغال علمي راهن، والتعاريف القائمة على مقايس شكلية أو بنيوية أو موضوعاتية ليست كافية في

(2) E. LAOUST. Contes Berbères du Maroc : Larose. 1949

(3) El Mostafa CHADLI «Le chat pélerin»
un Essai de traitement Sémiotique
in Langues et littérature V. II 1982.

هذا المجال، غير أن الشيء الذي لايمكن القفز عليه هو أننا أمام نتاجات أدبية لاعتبارين :

1 ـــ باعتبارها إنتاجا ثقافيا لمجموعة بشرية (...)

2 ـــ باعتبارها نتاج عمل شخص ثقافي (واضعها الأصلي).

واننا أمام نصوص شفوية تم عليها اشتغال لغوي كما سلف الذكر في صورة تسجيل بلغة غير اللغة الأصلية.

جـ ـــ نقصر تناولنا هنا بمقتضيات تنظيمية يستلزمها ضيق الحيز الزماني على نموذج واحد يعرض قيمة واسعة الانتشار، تكون لحمة مجموعة مهمة من الحكايات الشعبية المعروفة التي تتشكل وفق قصة طفلين يتيمين وبقَرة. حكاية متوسطة الطول، ترد في صيغ مختلفة مقترنة بتيمة أخرى تُبنى وفق صراع الحيوان الضعيف والحيوان القوي (القنفذ والسبع)، التيمة الحكائية الأولى يمكن تركيزها في التالي :

* «تحت إلحاح زوجته الثانية يتخلص الزوج من طفليه اليتيمي الأم، يمنحهما بقرة تغذيهما من حليبها، وبعد ذلك من لحمها، ولكنه ينصحهما بألا يذبحاها إلا ساعة تدلي الشحم في فتحتي أنفها، يكبر الطفلان، يتفوقان صحة وجمالا على أبناء زوجة الأب، مما يثير غيرتها فتعمل على اكتشاف سر هذا التفوق لتحرمهما من مورد قوتهما الوحيد. والقصة في العمق تعرض للكائنين الصغيرين المتروكين المضطهدين، اللذين تنقذهما الصدفة، أو التدخل الاعجازي لأمهما الميتة، التي تجهد لضمان تغذيتهما بمختلف الوسائل الممكنة».

التيمة الحكائية الثانية، يمكن تركيزها في الخلاف الأبدي بين الأسد والقنفذ وهو خلاف يستمر تحفيزه في ثنايا الحكي انطلاقا من التيمة الأولى في بعض الصيغ لينتهي بمواجهة اقتتالية تؤول لصالح الضعيف (القنفذ).

2 ـــ ننطلق في تناولنا من اعتبار النموذج «سردا» أي حسب تحديد غريماس «الخطاب الحكائي ذي الطابع التصويري (المتضمن لشخوص تنجز جملة من الأعمال) وحسب تحديد بروب V. Propp باعتباره «تتابعا زمنيا لمجموعة وظائف أو أعمال وهكذا يمكن تحديده في تصويريته وزمنيته في نفس الآن[4].

(4) A.J. GREIMAS, J. COURTES, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage HACHETTE UNIVERSITE P. 307.

كما ننطلق من اعتباره ناتجا عن نظام رمزي مما يستوجب الاهتمام به في المقام الأول (مع مراعاة إمكانية إضاءته بالسياق الثقافي الخارج نصي). من هنا فالخطة التي نتبناها تقوم على استجلاء نظام معين في شكل سنن وراء النموذج الحكائي.

اننا للاعتبارات السالفة لن نتناول النموذج وفق قراءات نقوم على تقطيعه إلى وحدات صغرى ولكن وفق تشغيل قراءة على مستويات مختلفة على مجموع الحكاية، أي في كليتها.

بخصوص المشكل المتصل بتعدد الصيغ بالنسبة للنموذج الواحد، نشير مع C.L Strauss إلى أن قراءة من هذا القبيل لايمكن أن تنجز إلا بترك هذا المشكل الخاطىء. الذي يراه الكثير من المحللين عائقا. ومن هنا نعتقد في كون مختلف صيغ الحكاية، ناتجة عن نفس التركيبة الذهنية **Dispositif mental** وأن تنوعها هو ذاته الذي يمكن من استجلاء بنيتها المشتركة.

بعد هذه التوضيحات نقترح فيما يلي، مستويات التناول القرائي التي سنحاول تشغيلها أمام النموذج المذكور.

3 ــ مستويات التناول التحليلي :

1 ــ اعتبار النص الحكائي في دلالته اللسانية العادية ــ الممكنة من قراءته وشرحه أو تلخيصه ــ وفي دلالته الكامنة وراء معناه السردي البسيط ومن أجل ذلك يلزمنا.

أ ــ توضيح أن المقاطع السردية في الحكاية تمتلك دلالة متميزة عن دلالاتها اللسانية، تمنحها بعد ذلك قيما دلالية جديدة بما ينسجم مع أبعاد الحكاية.

ب ــ توضيح النظام الداخلي لهذه القيم الدلالية في استقلال عن نظام السرد.

2 ــ أبعاد الحكاية : ويلزم تشخيصها على مستويين :

أ ــ مستوى المقاطع

ب ــ مستوى الأجزاء

3 ــ أطر الحكاية ويمكن اختزالها في :

أ ــ الثقافي المعيشي

ب ــ السوسيولوجي.

د ــ الكوني

4 ــ مظاهر الغنى التعبيري للحكاية

نشير إلى أن تبني هذه الخطاطة القرائية المبسطة من بين أنماط أخرى تحفز عليه مقتضيات الدراسة المقترحة بشكل عام. والخطاطة كما هو واضح تستند في مجملها على مبادىء المقاربة في الانتروبولوجية البنيوية للنموذج الحكائي الاساطيري خصوصا في اشتغالها على مستويي بنية الحكاية بكيفية عامة، والأبعاد المتصلة بالحكاية المقترحة من جهة ثانية.

أما الإختيار الثاني الوارد فهو الإختيار السيميوطيقي. الذي يستتبع النظر إلى النص كعالم ذري مستقل ودال خارج الحمل السياقي L'apport contextuel لأن فهم الأنماط التعبيرية الشفوية يمر ضرورة بالامتلاك القبلي لمعرفة واضحة لسننه الدلالية، والقيم ــ أخلاقية Sémantico - axiologique

وبما أن النظرية السيميوطيقية تؤخذ كنظرية تستهدف توضيح الجانب الدلالي انطلاقا من شروط فهم النص وإنتاج المعنى انطلاقا من نموذج مهيأ ومبني لهذه الغاية. وبما أننا لا نستهدف إقامة نموذج نحوي حكائي للنص ولا اعطاء تعبير شكلي للمفاهيم الموظفة في إطار طريقة افتراضية استنتاجية hypothético - déductive فإن المعالجة السيميوطيقية لن تفيدنا بما ينسجم مع الأهداف المحددة في الدراسة ككل.

4 ــ التحليل

1 ــ النص الحكائي المقترح في نموذجه المدون يقدم متواليات سردية مترابطة وفق منطق حكائي مضبوط يتم استهلاله من طرف الحاكي المفترض بتحديد للنوع «تاحاجيت» ثم بتقديم للشخوص المحورية «يان أوركاز» رجل

+ سين وراونس»، ابناه

+ «تامغارت انس» زوجته + «يات تفوناست» بقرة.

ــ من منطوق الاستهلال نلمح إلحاقا للنوع «تاحاجيت» بالشخوص بواسطة أداة الالحاق الاضافية «ن» تـ **نيان** أوكاز **نتادسين وراونس** تمغارت **انس** ليتحدد النوع هنا في خاصيته الإخبارية :

النوع هنا في خاصيته الإخبارية :

تاحاجيت = قصة = خبر = حكاية.

«حكاية رجل وابنيه وزوجته كانت لديهم بقرة يواظب الطفلان على إخراجها إلى المرعى...»

ينتهي هذا القسم الاستهلالي بتحديد زماني مطلق «آريان واس» «انان آس أبابا نْرَاتِيفْنْيّ...».

هذا التحديد الزماني المطلق «يوم من الأيام» يؤطر طلب الطفلين «نريد اللحم» هذا الطلب الذي ستتناسل المتواليات الحكائية انطلاقا منه في شكل استجابات أو ردود أو أحداث لِيتنامَى الحكي مستكملا معالجته للتيمة الأولى وفق النموذج التالي.

الصيغـة

1 ــ طلب اللحم.

2 ــ رد الأب : ضرورة الاعتناء بالبقرة حتى تبلغ أقصى حالات السمنة الشرط في صورة مؤشر على حالة السمنة تلك (أن تصير لاحمة بفعل كثرة الذهن) = شرط تعجيزي = مؤشر مستحيل واقعيا.

3 ــ استجابة الأطفال : الاعتناء المتزايد بالبقرة + سرقة الشعير من الجيران.

4 ــ النتيجة = تسمن البقرة حتى « حدود الانفجار» ولا آثار للذهن المعتبر مؤشرا على السمنة وشرطا لتناول لحم البقرة.

5 ــ رد فعل أمام هذه النتيجة : التفكير في حيلة : شراء الشحم وحشو اذني البقرة، ثم استدعاء الأب ليشهد المؤشر المفتعل.

6 ــ نجاح رد الفعل : الأب يقتنع ويسمح بذبح البقرة

7 ــ شرط جديد (في الغابة، في مكان خلو من الذئاب).

8 ــ التنفيذ: أخذ البقرة إلى الغابة، ذبحها تقسيمها إلى أرباع.

هنا تنتهي التيمة الأولى لتنهض التيمة الثانية يبرز شخوص جدد من طبيعة حيوانية. (أسد، قنفذ، دجاجة، ثعبان)

1 ــ الأسد يشم رائحة اللحم ــ ويأتي طالبا نصيبه

2 ــ الرد : الطفلان يطلبان منه القدوم معهما، لأن الأب هو الذي يعرف الجزء الذي يمكن أن يأخذه السبع.

3 ــ استجابة : الأسد يتبع الطفلين اللذين يطلبان منه التوقف حال بلوغهما البيت ويغلقان الباب في وجهه.

4 ــ الأسد يكتشف حيلة الطفلين ويلح مزمجرا في طلب اللحم مهددا بالدخول عنوة.

5 ــ الطفلان يستجيبان بالصعود فوق المنزل وإلقاء جلد البقرة.

6 ــ الأسد يأخذ الجلد يصنع منه جرابا ويطلب المزيد.

7 ــ الطفلان يلقيان إليه بالرأس.

8 ــ الأسد يأخذ الرأس، يضعها في الجراب، يطلب المزيد مهددا.

(9 ــ 10) ــ الطفلان يمنحانه الاحشاء، يضعها في الجراب، يطلب المزيد.

11 ــ الطفلان يلقيان إليه بكل البقرة.

12 ــ الاسد لا يتوقف عن طلب المزيد.

13 ــ الزوجة تتصرف وتأخذ زوجها من يد وابنيه من يد وتلقي بهم للأسد

14 ــ الأسد يضع الثلاثة في جرابه ويبدأ في الدوران حول البيت للاقتراب من الزوجة.

* هنا تأخذ التيمة الثانية منعطفا جديدا مستكملة بنيتها الكلية القائمة على المواجهة، يتوقف الحكي ليفسح المجال لتحديد زماني مكاني :

هذا اليوم يوم سوق ــ والطريق المؤدي إليه يمر بالقرب من هذا البيت، هذا التحديد يستتبع مقاميا مرور الناس من وإلى السوق.

1 ــ الأب وابناه يطلبان نجدة المارة.

2 ــ الرد : الناس يمتنعون عن مد العون خوفا من الأسد

3 ــ يمر القنفذ ممتطيا دجاجة

4 ــ الطفلان يطلبان مساعدته.

(5 ـــ 6) ـــ القنفذ يتساءل عن سبب وجودهم على تلك الهيئة، يعلم منهم أن الأسد هو الذي وضعهم هناك.

7 ـــ الاستجابة : القنفذ ينزل ويخلص الثلاثة.

8 ـــ الأب وابناه يخرجان من الجراب ويمضيان مباشرة نحو السوق.

* تبدأ المواجهة بانتباه الأسد إلى وجود القنفذ قرب الجراب المفتوح.

1 ـــ الأسد يتساءل موجها الخطاب إلى القنفذ عمن خلص الثلاثة من الجراب.

2 ـــ الرد : القنفذ يجيب بتحد بأنه هو.

3 ـــ الأسد يقرر أكل القنفذ عوضا عن الأب وابنيه

4 ـــ الاستجابة : القنفذ يستجيب لطلب الأسد بعد اعتراض شكلي (لايمكنني أن أشبع شهيتك)

5 ـــ الشرط : القنفذ يطلب من الأسد أن يفتح فمه حتى يدخل مباشرة دون أن يتكلف مضغه بمشقة (الشوك)

6 ـــ الأسد يستجيب لشرط القنفذ.

(7 ـــ 8) والتنفيذ : الأسد يفتح فمه، القنفذ يقفز إلى عمق حلقه ويتكور،

(9) : الأسد يحس بالاختناق ويطلب منه الخروج مقابل الصفح عنه.

(10) : الشرط : القنفذ يطلب منه التموضع في مكان عال، ويفتح فمه ليخرج من حلقه،

(11) : استجابة : الأسد يستجيب لطلب القنفذ،

(12) التنفيذ : القنفذ يقفز متدحرجا إلى عمق الوادي.

(13 ـــ 14) : الأسد يشرع في البحث عنه بدون جدوى، وبعد يأس ينصرف إلى غابته.

* بانتهاء هذه المواجهة تبدأ مواجهة أخرى طرفها الأول : القنفذ دائما.

1 ـــ القنفذ يلتقي الأشخاص الثلاثة مجددا، 2 ـــ الرجل يبدي رغبته في اصطحابه إلى بيته كلعبة يتسلى بها الأطفال. 3 ـــ القنفذ يستنكر هذه الرغبة من الرجل الذي خلصه من براثن الأسد 4 ـــ الرجل يصر على اصطحابه، 5

ـــ : استجابة : القنفذ يستجيب مقترحا تقديم أحد أطفاله عوضا عنه، 6 ـــ الرجل يقبل الاقتراح.

* يتوقف الحكي للاخبار بأن للقنفذ زوجا من الثعابين كجيران.

1 ـــ القنفذ يصطحب الثلاثة إلى جحره 2 ـــ يطلب منهم الانتظار ريثما يخرج ابنه الصغير 3 ـــ القنفذ يحكي قصته لجاره الثعبان، 4 ـــ الثعبان يطلب جرابا لتخليص صديقه القنفذ، 5 ـــ الثعبان يدخل الجراب، 6 ـــ القنفذ يمنح الرجل الجراب المتضمن للقنفذ الصغير كما هو متفق عليه، 7 ـــ الشرط : القنفذ يشترط على الرجل ان لا يفتح الجراب إلا بعد وصوله إلى المنزل، 7 ـــ 8 : استجابة : الرجل يقبل بالشرط ويمضي حاملا الجراب،

9 ـــ الرجل يصل إلى البيت ويدعو أطفاله،

10 ـــ يفتح الجراب وينفض محتواه،

11 ـــ الثعبان يخرج من الجراب وينقض على وجه الرجل ليفقأ عينيه.

هكذا تتكامل الحكاية في نسختها النموذجية. ومن قراءة أولية يبدو بوضوح انها تقدم ترابطا نصيا بين أكثر من حكاية تقدم في سياقات أخرى منفصلة عن بعضها البعض، أو تدرج ضمن نسيج حكائي آخر.

ففي موازاة هذه الصيغة تبرز صيغة أخرى تقدم تماثلا بنيويا مع الأولى، مع اختلافات في التفاصيل وتعاقب الأحداث، وهذا بناء على ما تقدمه الصيغتان في دلالتهما اللسانية، بحيث يمكن تشخيص التوازي بين الصيغتين، تأسيسا على تعاقب التيمات الأساسية التي سبق تحديدها بالنسبة للصيغة الأولى.

الصيغة 1.	الصيغة 2
الاستهلال : قصة الزوج وابنيه وزوجته	← : صياد وزوجته وطفليه ↓ وزوجته وطفليه من الزوجة المتوفاة 1 ـــ الصياد يحضر زوجا من طائر الحجل. 2 ـــ الزوجة تقنعه بضرورة

التخلص من الطفلين بدعوى الاكتفاء.

(3، 4، 5) **استجابة** : الصياد يستجيب لرغبة الزوجة فيتخلص منهما ويترك معهما

البقرة ◂ بقرة.

↓

الشرط الشحم ◂ 6 : الشرط : يأمرهما يذبحها حالما يسيل الشحم من أنفها.

7 : الطفلان ينشغلان برعي البقرة، 8 : الطفلان يستغرقان يوما في البكاء، (9 ــ 10) الغرابة (الانثى) تلمحهما وتسألهما عن سبب البكاء. 11 ــ الطفلان يقصان حكايتهما للغرابة، 12 ــ الغرابة تطلب منهما ملء ثقب صغير من دموعهما لتغسل فيه ثياب صغارها مقابل البحث عن الشحم، 13 ــ الغرابة تحضر

↓

تنفيذ الحيلة ◂ الشحم وتفرك به أنف البقرة، 14 ــ الطفلان يشرعان في ذبح البقرة فى مغارة منيعة.

* بداية النتيجة الثانية (الأسد) 1 ــ الأسد يطلب منهما إلقاء ربع البقرة المذبوحة

2 ــ استجابة : الطفلان ستجيبان لطلبه 3 ــ

طلب — الأسد يطلب الربع الثاني، 4 ــ استجابة : الطفلان يستجيبان مرة أخرى، (5 ــ 6) الأسد يطلب الثالث والرابع،

استجابة	ويتساءل عن المتبقي، 7 ـــ الطفلان يلقيا بما تبقى من جلد البقرة، 8 ـــ الأسد يتساءل عما بقي مرة أخرى، 9 ـــ الطفلان يجيبان انه لم
نفاذ لحم البقرة	يبق سواهما، 10 ـــ الأسد يطلب منهما أن يتعاركا ليلقي أحدهما بالآخر، (11 ـــ 12) الطفلان
الالقاء بالثلاثة	يتعاركان ويسقطان بين براثن الأسد. (13 ـــ 14) الأسد يضعهما في جلد البقرة ويحملهما إلى الطريق المؤدي إلى السوق
داخل الجراب	
* بداية القسم الثاني من	1 ـــ * مرور الحيوانات في الطريق إلى السوق
التيمة الثانية (المواجهة)	2 ـــ استغاثة الطفلين، 3 ـــ امتناع الحيوانات عن المساعدة خوفا من الأسد.
استجابة القنفذ	(4 ـــ 5) القنفذ يستجيب لنداء الطفلين ويخلصهما 6 ـــ الأسد يتساءل عمن خلص الطفلين، 7 ـــ القنفذ يجيب بأنه هو، 8 ـــ الأسد يطلب العراك، 9 ـــ استجابة : القنفذ يستجيب لطلب الأسد 10 ـــ الأسد يجمع كل الحيوانات المفترسة فوق مرتفع (11 ـــ 12) القنفذ يحشد من جهته الحشرات

	والزنانير والنحل، يتقدم لملاقاة الأسد وجيشه. 13 ـــ القنفذ يأمر الحشرات بالانقضاض، 14 ـــ الحشرات تنقض باللسع
القنفذ يتخلص من الأسد	15 ـــ الأسد يهرب متبوعا بباقي الحيوانات
	16 ـــ القنفذ يمضي في أثر الأسد إلى عرينه
	17 ـــ ينتزع ريشة من دجاجته ويضعها أمام مدخل العرين بحيث يلمحها الأسد من الداخل، 18 يتهيب الخروج اعتقادا بوجود القنفذ الدائم أمام المدخل، 19 ـــ الأسد يموت في عزلته وخوفه

▼

الثعبان يفقأ عيني الرجل

يتضح مما تقدم، التماثل البنيوي بين الصيغتين، وهو تماثل بمقتضاه يمكن تركيز الحكايتين انطلاقا من منطوقهما في الخطاطة التالية، بناء على دوائر العمل السبع التي يحددها بروب Propp كعنصر أساسي ثان في الحكاية بعد وظائف الأشخاص الواحدة والثلاثين : والدوائر المذكورة تتأسس على تجمع مجموعة وظائف بصورة منطقية، وهي دوائر عمل تطابق الشخصيات المنجزة للوظائف :

1 ـــ موضوع الالتماس : لحم البقرة، الشيء الجاري البحث عنه في كلتا الصيغتين 2

2 ـــ الموكل : تكليف الطفلين بمهمة رعي البقرة ـــ تكليف الأب بالتخلص من الطفلين.

3 ـــ البطل : الطفلان يدأبان على رعي البقرة ـــ يفكران في حيلة لبلوغ موضوع الالتماس.

4 ـــ المهاجم : الأسد يطلب اللحم، يطارد الطفلين.

5 ـ الواهب : القنفذ يظهر كمخلص.

6 ـ المساعد : القنفذ يخلص الشخصين ـ ويبدأ مواجهة الأسد

7 ـ البطل الزائف : الزوج يطلب اصطحاب القنفذ ويفشل لتفقأ عيناه ـ الأسد يطلب مواجهة القنفذ لينتهي ميتا في عرينه.

هذا الاختزال إلى دوائر عمل الأشخاص لا يتجاوز المعرفة اللسانية الممكنة من قراءة الصيغ وشرحها وتلخيصها. فمن خلاله نقف عند الجانب التعبيري في الخطاب.

غير أننا ملزمون هنا كخطوة ثانية باعتبار الصيغتين المعروضتين حاملتين لدلالة تختلف عن دلالتهما اللسانية تلك. وحتى نقف عند هذا الاشتغال التعبيري التضميني يجب أن نمنح المقاطع الحكائية قيما دلالية جديدة تنسجم مع الأبعاد المختلفة التي تمظهرها الحكاية.

ـ أول مؤشر يعزز هذه الخاصية التضمينية يتمثل في نزوعها إلى الانسنة والاحيائية، عن طريق توظيف شخوص حيوانية توكل إليها وظائف الاتصال المباشر بالإنسان، وتسند إليها أفعال إنسانية (كلام، اشتغال في المكان، فعاليات يومية، احتيال...).

أ ـ فبالنسبة لموضوع الائتماس : «اللحم» تبرز البقرة في تعينيتها كحيوان أليف، وكمعطى من ضمن المعطيات الاقتصادية التي يتمحور حولها النشاط اليومي لأسرة ريفية. غير أن النظر إلى موضوع الائتماس «اللحم» كمطلب عزيز يتم تأجيله ما أمكن من طرف الأب. في مقابل الإلحاح القوي للطفلين يقدم وجها آخر في شكل محتوى متضمن يتعارض وفقه المطلب المذكور مع ما ينظر إليه من زاوية العطف الأبوي

ذبح البقرة	Vs	بقاء البقرة حية
اكل اللحم	Vs	شرب الحليب

يبدو من هذا التعارض أن موضوع الائتماس، مطلب آني ونزوة أو رغبة ذات طبيعة ترفيهية في حين أن البديل المقترح يرتبط بمصلحة اقتصادية يمكن أن يعزي استمرار الحياة لها. على اعتبار أن ذبح البقرة تعطيل لخاصيتها الإنتاجية المستمرة والمتنامية كلما بولغ في الغاية بها. وهي إنتاج الحليب. ان موضوع الائتماس ينظر

إليه هنا كرغبة في التحويل في سياق تبادلي. ينتج عنه امتلاك ما يشبع رغبة ظرفية في مقابل ما يسد حاجة دائمة، امتلاك اللحم / في مقابل فقدان الحليب.

هذا التأويل ينسجم بشكل واضح مع الرمزية الملازمة للبقرة في الميتولوجيات القديمة خصوصا البقرة المنتجة للحليب التي تؤخذ كرمز للأرض المغدية ففي مصر القديمة تعتبر البقرة آحت Ahet أصل التمظهر وجسد الشمس (...) كما أن صورة حتحور HATHOR تلخص هذه المظاهر المختلفة لصورة البقرة ورمزيتها فهي الخصوبة، والثروة والانبعاث والام... انها جوهر التجدد والأمل في استمرار العيش (...)[5].

هذه الخاصية الرمزية في الميتولوجيا القديمة تماثل مع الخاصية التضمينية التي تقدمها البقرة في دائرة موضوع الاتماس.

بقرة منتجة للحليب = الأرض المغدية
(الانتاج) الخصوبة = الخصوبة (امل استمرار العيش).
(التعويض) الأمومة = الأمومة

VS

بقرة مذبوحة = أرض متروكة معطلة
موت = جدب. (اليأس في استمرار العيش).
افتقاد = عدوانية.

ويمكن بناء الترابط الرمزي بين البقرة / الأرض والبقرة / الأم. انطلاقا من منطوق الاستهلال الذي يفهم منه أن الطفلين هما من زواج سابق ويعيشان مع زوجة الأب. ومن هنا فإن القول بالتعويض وارد بحيث تقوم البقرة مقام الأم والمعيل بالنسبة للطفلين المتروكين، ومقام الملكية الخاصة في صورة هبة أبوية، والحال أن التماثل الرمزي بين الأرض والأم تماثل مسلم به وموجود في أغلب الثقافات الإنسانية.

وإذا نظرنا إلى المسألة من الزاوية الانتاجية نجد ان التماثل الرمزي بين البقرة

(5) Jean CHEVALIER, ALAN CHEERBRANT. Dictionnaire des symboles. P. 989

والام. يتعزز بعنصر الحليب في مصدره الانثوي الامومي ضرورة. الأمر الذي ينظر بموجبه إلى البقرة في علاقة التعويض التي تربطها بالاثنين على أنه تجل عجائبي للأم المفتقدة في وسط عدواني مشكالب. على ضوء هذا التماثل الرمزي يمكن تفسير جملة السلوكات المحيطة بالدائرة الأولى «موضوع الالتماس» والمتمظهرة في صورة شروط، ومطالب، واستجابات، وتحايل... فبتجاوز بعض التفاصيل الجزئية البارزة كقيم خلافية بين الصيغتين ـــ على أهمية تلك التفاصيل ـــ سنقف عند بعض الثوابت وأهمها :

طلب اللحم، استجابة الأب، شرط الأب

استجابة الطفلين، تحايلهما على الشرط بعد يأس ونفاذ صبر.

1 ـــ بالنسبة للطلب الذي موضوعه اللحم : ينظر إليه من زاوية المقتضيات الاقتصادية المتحكمة في النظام الغذائي، وهي مقتضيات تجعل من تناول اللحم ترفا وامتيازا غير متوفر باستمرار، لأن الطلب هنا جاء مقترنا بتحديد زماني يفيد طول المدة «آريان واس».

2 ـــ بالنسبة لاستجابة الأب، ينظر إليها من وجهين : الوجه غير المشروط والوجه المشروط، بالنسبة للوجه الأول نجده محكوما باستلزامات الابوة وما تستتبعه من مسؤوليات اعالة، وتوفير حاجيات في حدود الامكان، أما الوجه الثاني فهو شكل من أشكال القبول / الرفض مادام قبولا مشروطا ومن هنا المرور إلى العنصر الثالث.

3 ـــ شرط الأب : في طابعه التعجيزي يمثل سلطة الخبرة والتجربة لدى الكبير في مقابل سذاجة الصغير وانسياقه وراء الوعود. ان الشرط في حد ذاته منح الأب إمكانية التصرف على واجهتين :

ـــ واجهة الأب العطوف المستجيب لرغبات الأطفال.

ـــ واجهة الأب الحريص على المصلحة الاقتصادية لمجال تحكمه.

فالشرط تأجيل لتلبية الطلب، ولكنه تأجيل إلى ما لا نهاية مادام شرطا مستحيل التحقق.

4 ـــ استجابة الطفلين : مظهر من مظاهر الامتثال ولكنه امتثال يتلبس بحافز الرغبة الملحة، في تحصيل موضوع الالتماس «اللحم» وليس فقط بالطاعة أو الامتثال

لرأي من هو أكبر سنا. وهذا ما يفسر اجتهادهما إلى حد سرقة الشعير من حقول الآخرين.

5 ــ التحايل على الشرط : ينظر إليه كرد فعل رمزي على الشرط التعجيزي ذاته فالشرط حاجز أمام موضوع الالتماس والحيلة إلغاء رمزي لهذا الحاجز وحتى الطريقة التي بمقتضاها تم تنفيذ الخطة. ثم رد فعل الأب أمام هذا الواقع الجديد المفتعل (الاذعان) هي كلها سلوكات ذات طبيعة رمزية تشخص كيفية اشتغال الرغبة الطفولية المتحررة من أية اعتبارات تثقل كاهل الكبار ــ متجاوزة كل المقتضيات القسرية التي لم يقو الأب على بسطها صراحة، لأن في ذلك انتقاصاً من هويته الأبوية. وتشكيكاً في حقيقة السلطة الأبوية، وكشفاً عن زيف المشاعر المبذولة كتعويض للطفلين عن يتم الأم.

وهذا تأويل يضعنا أمام التعارض الخفي بين مصلحتين، وبين واقعين

واقع الأسرة	العائلي، (حرمان من عطف الأم). الاقتصادي (حرمان من مورد اعالة كاف)
VS	
رغبة الطفلين	ترف غذائي

انطلاقا من هذا التعارض تشتغل اواليات التحايل من الطرفين الأب / الأطفال في تجاذب يؤول لصالح رغبة الطفلين ولكنها مع ذلك تبقى رغبة غير مكتملة كما يتجلى ذلك من بقية الدوائر.

الدائرتان اللاحقتان (البطل، الموكل) متضمنان في موضوع الالتماس وتشملهما المعالجة أعلاه، لهذا لن نتوقف عندهما تفاديا للاسهاب.

ــ الدائرة الرابعة ــ (المهاجم)

الأسد يطلب اللحم ويطارد الطفلين.

تقدم مؤشرات تضمينيتها وطاقتها الرمزية بكثافة توظيف الشخوص الحيوانية في اشتغالها محدِّثة ومتفاعلة (بعدوانية / أو بمؤازرة) مع الشخوص الإنسانية.

ان بروز «الأسد» كعنصر جديد يأتي مقترنا باكتمال الدائرة الأولى وذلك

بمقاربة تحصيل موضوع الالتماس (ذبح البقرة وتقسيمها إلى أرباع) الأسد بسلوكه العدواني يكشف عن رغبة امتلاك تتعارض مع رغبة الطفلين ورغبة الأب. وموضوع هذه الرغبة يبقى واحدا «اللحم» ليشكل وفق هذا التعارض تجاذباً متمحوراً حول نقطة واحدة مع اختلاف حوافز الرغبات الثلاث.

		المذبوحة	(اللحم)
الأب	البقرة	الطفلان	الأسد
رغبة تحفزها حاجة	الحية	رغبة يحفزها	رغبة تحفزها
اقتصادية	الحلوب	حرمان	طبيعة فطرية

ما يهمنا هنا هو ما يتعلق بالعنصر الجديد، مادمنا قد تناولنا في موقع سابق ما يتصل بالأب والطفلين. إن رغبة الأسد المعتبرة في مقاربة أولى محفزة بطبيعته الفطرية كحيوان من آكلات اللحوم النيئة نفسها تتجاوز في مرحلة لاحقة تحصيل الموضوع السابق، لتشمل غريميه أيضا (الطفلان، الأب)، ان الدائرة الرابعة بناء على ما ذكر تقدم حصيلة الرغبتين المحددتين في الدائرة الأولى، اذ إن السلوك الذي نتج عنهما أوجد هذه الحالة المأزق التي راكمت إلى افلات موضوع الرغبة — بعد أن كان وشيك الامتلاك — اعتبار الطفلين موضوعا لرغبة جديدة متمظهرة بصيغة عدوانية.

الأسد للاعتبارات السالفة يتمظهر كقوة متسلطة قاهرة، تمارس قوتها المطلقة على باقي الشخوص وتستأثر بموضوع الالتماس باعتبار هذه النتيجة، ينظر إلى السلوك الباعث على ظهور الأسد، كذنب أو معصية تستوجب عقابا، والحال ان هذه النتيجة تؤكد ما انتهينا اليه ونحن نعالج مسألة الشرط في الدائرة الأولى، وفي مقابلها رد الفعل الذي انتصرت بموجبه رغبة الطفلين. رغما عن رفض الأب الضمني المتمثل في شرطه التعجيزي. فذبح البقرة يعني تعطيل أسباب استمرار العيش، واستئصال أسباب الخصوبة. والموقف الجديد يعمق المسألة بتمظهر الموت المحقق من خلال عدوانية الأسد.

إن هذه الدائرة يمكن أن تعالج بالاستناد إلى الحمولة الرمزية للبقرة، في مماثلتها بالأرض المغذية، ويمكن أن نلج المعالجة هنا انطلاقا من مقولة القسمة :

قسمة البقرة = قسمة الأرض. وهي هنا تفيد فك اشتراك في مصلحة أو ملكية أو سواها، وما يستتبعه ذلك من انفصال وانفراد بنصيب ذاتي في استقلال عن الآخر، لهذا الاعتبار فذبح البقرة يعتبر مؤشرا ــ باعتباره المرحلة الممهدة للقسمة ــ يمكن أن تركب الدائرتان الأولى والرابعة انطلاقا منه.

البقرة :	ذبح البقرة	قسمة البقرة :	سطو الأسد على مجموع البقرة
الأرض	التوقف عن العمل	قسمة الأرض	سطو المعتدي على مجموع الأرض
موضوع	رغبة	حاصل الرغبة	النتيجة

وانطلاقا من هذا التركيب يتمظهر الأسد بعيدا عن خاصيته التعينية، في رمزيته العدوانية كقوة قبلية الوجود في إطار النسيج العلائقي المجتمعي المتمحور حول الملكية على وجه التحديد والمتدخلة لتحسم الأمر لصالحها دائما كلما توفرت الشروط المحفزة والمساعدة. وبناء عليه فإن تدخل هذه القوة الجشعة يبرر بمقتضى شروطه تلك. والمتبلورة في الضعف الناتج عن التفرقة والأنانية في مقابل اجتماع الجهد الواحد من أجل نفس الغاية، وفي خدمة وسائل ضمان الاستمرار وفي طليعتها التماسك والتآزر، المتجسد هنا على مستوى الأسرة الواحدة، المتمحورة حول سلطة الأب.

ان تعارض الرغبات والمصالح (الأب / زوجته / طفلاه) نتج عنه انحلال وتفسخ في العلاقات. هذا الأخير ولد حالة ضعف تمكن الآخر / (المعتدي) من رمز التوحد (الأرض) ومن الذوات الانسانية أيضا، واضح مما تقدم الغنى الدلالي لواقعة الاحتفاظ بالطفلين / أو بالشخوص الثلاثة. في جلد البقرة المعتبر جرابا. ففي هذه الواقعة يمنحنا الحكي رمزية الموت المحدد بإطار مكاني، ولكنه كما سبق القول موت رمزي لا يلغي حصوله إمكانية استمرار الحكي وفق الدوائر المتبقية.

أمام واقع الاحتفاظ بالشخوص في الجراب كذروة تأزم في مسار الحكي يبرز عنصر مساعد يجسده القنفذ الذي تتمحور حوله الدائرتان الخامسة والسادسة واختصارا نجمل الحديث عن هاتين الدائرتين انطلاقا من محورهما الذي يمثله القنفذ. كالتالي :

باعتبار تدخله كواهب ومساعد ومخلص في علاقته بالشخوص الانسانية

وباعتبار انخراطه كطرف في مواجهة غير متوازنة في علاقته بالأسد. ان القنفذ يشتغل إذن على محورين، اشتغالا ينسجم مع رمزيته القوية في الميتولوجيا القديمة وعند جميع الشعوب.

فالبنسبة لعلاقته بالشخوص الانسانية يتمظهر القنفذ في رمزيته «كمستشار» مسموع الكلمة، كمبتدع للنار، كبطل مخلص للإنسانية محضرها وبالنسبة لعلاقته بالأسد بتمظهر في رمزيته ككائن ضعيف يعوض ضعفه بحيلته وحسن تصرفه في مواقف المواجهة، ليكتسب بذلك قوة لا تقاوم يضمن بها سلامته والايقاع بخصومه من جهة ثانية.

والقنفذ في اشتغاله على المحورين المذكورين (المساعدة والمواجهة) يبرز من خلاله كرمز تكامل جملة من العناصر أبرزها :

1 ــ المساعدة في مقابل عدوانية الأسد.

2 ــ الضعف في مقابل قوة الأسد.

3 ــ التعاون بين العناصر الأضعف في مقابل واقع الانقسام (حالة الشخوص واضح من خلال ما تقدم ان القنفذ يبرز قيما خلافية بالقياس إلى باقي الشخوص الأخرى. وهي قيم تعزز رمزيته شِبْه المشتركة كمستشار وحكيم، ومعلم يعرف كيف يقلب الموازين لصالحه كلما استجدت ظروف تستدعي ذلك. ويلازم الانسان في كثير من الصيغ الحكائية مجسدا قدراته وكفاءاته المعطلة، وكذا موقف الانسان المغيب في (بحضوره المستمر كمساعد وكرمز لتآزر الضعفاء لقهر الأقوياء).

إن اشتغال القنفذ المحدد أعلاه ستنتج عنه وضعية جديدة أشبه بالوضع الابتدائي، مع غياب عنصر واحد هو البقرة، وانطلاقا من هذا الوضع تنهض الدائرة السابعة، دائرة البطل الزائف

ــ هذه الدائرة الأخيرة تبرز عنصرا مبعدا إلى المستوى الثانوي هو الأب الذي يتصرف متابعا مسعى موازيا للقنفذ لكن المحاولة تجعلهما في مواجهة مفتوحة، وهي مواجهة يبرز عبرها الأب ردود فعل تكشف محاولته اليائسة لينتهي به الأمر ضحية سلوكه المذكور فاقد العينين.

وكما هو الشأن بالنسبة للدوائر الأخرى السالفة، فالدائرة الأخيرة كمواجهة من مستوى ثان هذه المرة بين سلطتين متماثلتين على مستوى المسؤوليات.

القنفذ (الأب) vs الرجل (الأب).

وهي مواجهة تحفزها رغبة الأب الإنسان في امتلاك الأب الحيوان كوسيلة تسلية لأبنائه، مواجهة بين حليفين سابقين أمام نفس القوة الجبارة غير أن الوضع الجديد ولد رغبة أبوية أنانية بامتياز ومتعارضة موضوعيا مع ما يمكن أن ينتج عن تحالف سابق من جهة، ومع واقع الطرف الثاني (القنفذ) كمضطلع بنفس المسؤوليات الأبوية.

إن القيم الدلالية التي تبرزها هذه الدائرة تقاس منسجمة مع تلك السابقة عليها. وفي طليعتها.

1 ــ الطمع vs القناعة

2 ــ التعاون، نكران الذات vs الأنانية.
(تعاون القنفذ والثعبان.

3 ــ الوفاء Vs الغدر .....

وهكذا باختصار تتكامل الدوائر السبع في جانبها التضميني المبرز للكثير من القيم الدلالية :

(الملكية، الأبوة، الأمومة، التلاحم، الانقسام، القوة، الضعف التعاون، الوفاء، الغدر، القناعة، الطمع، الأنانية...)

والآن بعد اكتمال هذه المرحلة من مراحل التناول نعبر إلى المرحلة الموالية المتصلة بأبعاد الحكاية.

أبعاد الحكاية :

أ ــ على مستوى المقاطع :

يمكن أن ترصد مجموعة من التوازيات والتقابلات بين مختلف التيمات الحكائية وهي توازيات وتقابلات تبرز وتتجسم أمام المتلقي بدون كبير عناء.

ــ تقابل الرغبات الناجم عن تعارض المصالح (الأب ــ الأبناء)

ــ تقابل المشاعر الاسرية (المشاعر الأبوية، الأمومية الغائبة)

ــ تقابل الحاجة الاقتصادية والرغبات التي يحفزها الحرمان

ــ تقابل سلوك عدواني (أسد) سلوك مساعدة (القنفذ)

قــوة	ضعف
غبــاء	ذكـــاء

— تقابل قيمتي الوفاء والغدر
— تقابل الانقسام الضعف والاتحاد والتعاون القوة
— تقابل الحياة (البقرة الحلوب) الموت (البقرة المذبوحة)
— تقابل حرية (وضع ابتدائي) أسر (سلوك الأسد).

وانطلاقا من هذه التقابلات تبرز مجموعة من الأبعاد أو المتغيرات الدلالية وأبرزها — الكثرة — القلة / التعدد — الفردية / المغلق — المفتوح (الجراب) / السري المكشوف / الكبير الصغير (الأب الأبناء) (الأسد القنفذ) (الأب. القنفذ) (الأب. الثعبان) / الاليف المتوحش (البقرة. الأسد).

ب : على مستوى الأجزاء.

يبدو النص الحكائي مؤسسا على تعارضات يتم إبرازها بكيفية متسلسلة انطلاقا من أوضاع طارئة تستتبع مواقف أو سلوكات معينة. وهي ذات التعارضات التي تمت معالجتها في القسم الأول من التحليل وسنحاول هنا أن نبرز الطبيعة الخلافية ومجالها.

1 — الرغبــــات :

رغبة الأب والطفلين المتعارضة مع عدوانية الأسد. هي تجل لتعارض بين نمطي استهلاك متمايزين (استهلاك حيواني إلى استهلاك إنساني).

رغبة الأب في تحصيل القنفذ كوسيلة تسلية، هي تجل لتعارض بين استهلاك معاشي يتمحور حول الأكل وبين استهلاك متمحور حول المتعة الزائدة عن الحاجات.

2 — السلوك العدوانــي :

— ذبح البقرة سلوك عدواني مشروع ومبرر بالحاجات الغذائية لتعارض مع الاحتفاظ بها حية المبرر اقتصاديا كذلك إنه سلوك عدواني (إنسان حيوان). يتعارض مع السلوك العدواني الثاني (أسد إنسان). المبرر بالطبيعة الفطرية للافتراس لدى المعتدي. وهو سلوك يتعارض مع العدوان الثاني (قنفذ أسد) والمبرر كدفاع عن النفس. هذا الأخير يتعارض بدوره مع المسلك العدواني (إنسان قنفذ) المبرر بحاجة استهلاكية. بحفزها شعور أبوي يجد صداه في المسلك العدواني الأخير (ثعبان إنسان). المبرر كانتقام أو إجراء رادع.

وفي مقابل مختلف السلوكات العدوانية المبرزة أعلاه. تبرز سلوكات مضادة في شكل ردود أفعال.

وبهذه الكيفية يتشكل الحكي مزاوجا بين الرغبات المتباينة والسلوكات العدوانية وردود الفعل التي تستتبعها

3 ــ أطــر الحكــايــة :

انطلاقا من الأبعاد المختزلة أعلاه يمكن الوقوف على كون الكثير من العناصر المندمجة في مجموعات ذات أبعاد دلالية مترابطة فيما بينها تحيل على إطار معين في تلازماتها وانفصالاتها على وجه الخصوص.

أ ــ الاطـار الثقافي المعيشي، :

ونقترحه هنا إجرائيا لتعويض ما يقصد. STRAUSS بالاطار ــ التقني ــ طبخي وفيه يبرز عنصران فقط في انفصالهما وهما «اللحم ــ والحليب» وكلاهما أساسي كمادة غذائية، غير أن ما يهمنا هنا هو استحالة التلازم التي يبرزها الحكي. وهي استحالة مبررة موضوعيا

الحصـول على اللحـم = ذبـح البقــرة

بقاء البـقـــرة = الحصول على الحليب

هذه الاستحالة تبرر أيضا بإبراز مصدر وحيد للمادتين في غياب المصدر المكمل الذكر = الثور = كمصدر اللحم.

لانرى هنا مبررا لمعالجة تبحث في الانتماء إلى المجال المطبخي أو غيره بالنسبة للمادتين ولكن يهمنا هنا إبراز القيمة الممنوحة لكل مادة على حدة في حدود الاطار الثقافي المعيشي للجماعة.

بالنسبة للحم، سبق أن وقفنا في موقع سابق على طابعها كمادة ظرفية غير متيسرة باستمرار.

أما الحليب، فيكفي أن نراكم إلى طبيعته الغذائية خصائصه الرمزية في طبيعتها الأمومية، ثم باعتباره أول غذاء يتغذى منه الجسم حال ولادته، والمساعد على نموه

Jean CHEVALIER.... Dic. sym. PP. 489. 499 (6)

واشتداد عوده. إنه يمتلك رمزية الحياة».. والمعرفة، والتبني والاخوة،... والحليب كغيره من رموز الحياة والمعرفة رمز قمري Lunaire أي أنوثي بامتياز..(7)

ب ــ الاطــار الاجتماعــي :

فيما يتصل بالاطار الاجتماعي يقدم الحكي مقابلة بين وضعين متمايزين بحيث نشهد في الوضع الابتدائي مؤشرات التفكك الأسري في شخص زوجة الأب وسلوكها العدواني تجاه الطفلين، من خلال اقناع الأب بالتخلص منهما بمبررات واهية (الاكتفاء). ثم تجاه الجميع في الصيغة الأخرى بإلقائها الزوج وطفليه وفي المقابل سنجد حرصا أبويا في القنفذ على أطفاله، ومبالغة انثى الغراب في الاعتناء بصغارها، كما نجد استجابة آلية من موقع أناني من لدن الطفلين لطلب الأسد (يتعاركان ويسقطان بين براشنه) كموشر على تقلص روابط الاخوة والدم. كلما تعلق الأمر بالمصلحة الفردية، وفي المقابل نجد اجتماع جهود الحيوانات الضعيفة والحشرات لتشكل قوة قاهرة فتجاوز قوة الأسد.

نجد أيضا ظاهرة سرقة ملك الغير من أجل تحقيق رغبة شخصية «سرقة الشعير من حقول الآخرين» في مقابل نكران الذات «تطوع الثعبان لينوب عن القنفذ في مواجهة الرجل...

داخل هذا الاطار نجد اشتغالا صريحا للكثير من القيم التي سبق إبرازها في القسم الأول من التحليل.

جـ ــ الاطار الكوني P Cosmologique

فيما يتعلق بالاطار الكوني للحكاية نلاحظ هذا الجمع لشخوص متباينة الطبيعة وطرق العيش في فَضَاء حَكْيٍ واحد. تقدم كل مجموعة منها. تجليات قيمها مدرجة في صيغة مقارنة. تعزز القيمة التضمينية للحكاية، فهناك :

المجال الانساني	المجال الحيـــــــــواني
الــــــــــزوج	الأســــــــــــد
الزوجــــــــــة	باقي الحيوانات المفترسة
الطفـــــــــلان	القنفـــــــــــــــذ

(7) Jean CHEVALIER. op. cit pp 556. 557

البقـــــــــرة	الغــراب (الأنثـــى I
الجيـــــــــران	الثعبـان
	الحشـــــــــرات

وبتأمل العلاقات المتفاعلة في كل مجال على حدة وبالمقارنة مع المجال الآخر نجد أن الحكاية تبرز بشكل واضح بعض مظاهر تفسخ العلاقات على مستوى الأسرة الواحدة. والمجتمع ككل، في تغليب المصلحة الشخصية، والتضحية بالآخر فيما تبرز في المقابل. سلوكات مناقضة تماما نحصر بعض تجلياتها في المجال الانساني من خلال (القنفذ، وأنثى الغراب) في وجهها الايجابي والأسد والثعبان في وجهها السلبي المبرر على مستوى الحكي.

على مستوى آخر يمكن أن يرصد الحكي في إطاره الكوني من زاوية كونه يبرز تفاعلا بين الانسان ومحيطه على سبيل الترميز الذي بموجبه تشغل الشخوص الحيوانية لتغطية الحضور الحقيقي والمضمر لشخوص إنسانية تتوحد سلوكاتها ومواقفها مع السلوكات والمواقف الملحقة بالحيوانات في مختلف نماذج الحكي المماثلة لهذا النموذج.

د ــ مظاهر الغنى التعبيري للحكايــة

إن مختلف المستويات المقدمة أعلاه تبرز مدى قوة وثراء الامكانيات التعبيرية للحكاية، وهي الخاصية التي يمكن ترصدها انطلاقا من امكانيات العبور من الدلالة اللسانية العادية للحكي إلى توضيح أن المقاطع السردية تمتلك دلالة تتميز عن دلالتها اللسانية ثم الإمساك بهذه الدلالات بما سينجم مع الأبعاد المختلفة للحكي.

كما يرصد هذا الفني التعبيري في طوعية الشكل الحكائي لاحتواء الكثير في المؤشرات التي يمكن تركيبها وتصنيفها. انطلاقا من إحالاتها المباشرة على شبكات القيم والسنن المتحكمة أو المعتبرة مطمحا بالنسبة للجماعة التي انتجت النص، أو تداولته معدّلة ومضيفة

استنتـاجــات

1 ــ إن المعطيات التحليلية التي مكنتنا منها معالجة هذا النموذج الحكائي، تبقى محدودة فيما يتعلق بإمكانية اعتمادها. تجليات متنكرة لسنن ثقافية تخص مجالا معينا.

لأن المعتمد الوحيد الذي يمكن الاستناد إليه بهذا الخصوص يمثل في استمرار النموذج الحكائي حاضرا. ولكن حضورا معطل الفعالية انه أشبه بالنص الميت المحفوظ والمحنط.

والواقع أن فعالية الحكي كممارسة في الاستهلاك الثقافي فعالية متقلصة، ان لم نقل منعدمة، بالقياس إلى باقي الفعاليات الأخرى، التي وجدت منافذ للعبور إلى مجال الوسائط الاعلامية الجديدة. في حين بقي الحكي حبيس ذاكرة المسنين الأفراد.

2 ـــ ان الاعتراضات التي سقناها في مستهل هذا العمل تبرر الاحتراس من أي خطوة تتوخى إلحاق القيم المبرزة هنا كسنن. بهذا الفضاء الحضري المسمى «أكادير» ذلك انه حتى شرعية الحديث عن سنن ثقافية قبلية غير واردة إطلاقا بهذا الخصوص. بالنظر إلى صيغ الاندماج بين المكونات الثقافية (القبلية) للمجال المذكور.

3 ـــ اننا اليوم ونحن نباشر التعامل مع هذه المعطيات الثقافية، نفعل ذلك في ظل نظام ثقافي جديد غير واضح المعالم، وبإدماجنا لتلك المعطيات في صلب اشغالنا الآن نكون بصدد الحديث عن إنسان آخر غير هذا الذي نتشكل وفقه الآن، أي الانسان المغيب الملامح والمجرد من إنسانيته والذي لا يمكنه أن يروج إلا ثقافة هي كذلك أيضا.

المراجع المعتمدة :

1 - Jean-Marie AUZIAS, L'Anthropologie contemporaire. P.U.F.

2 - P. RICOEUR. de l'interprétation. Essai sur Freud. Seuil.

REVUE 1) Langues et littérature. V. II. 1982

REVUE 2) Traces. linguistique sémiotique V. I

3) Irène Bessière. Le récit fantastique.

- A .J. GREIMAS. J.COURTES. Sémiotique. Dictionnaire. raisonné de la théorie du langage.
- Jean CHEVALIER. Dictionnaire des Symboles.
- DAN SPERBER. Le structuralisme en anthropologie.